بالتأديب والارشاد وارهاف الهمم والعزايم بالتبصير والوعظ والتحريض والتشجيع وان كان الثاني تداركتم الامر معكم اما بانجاد
بغيركم من قبايل العرب واهل خراسان والحجاز فكلهم كانوا شيعته وقايلين بامامته او بما اراه في ذلك الوقت من المصلحة
التي تحكم بها الحال والحاضر قال لو فعلت ذلك لكانت هي العقدة الوثقى اي الرأي الاصوب الاحزم فان قلت فتقولون انه الحال الحاضرة
اخطأ في العدول عن هذا الرأي قلت لا نقول انه اخطأ بمعنى الاثم لانه انما فعل ما تغلب على ظنه انه المصلحة وليس الواجب
عليه الا ذلك ولكنه ترك الرأي الاصوب كما قال الحسن رحمه الله هلا مضيت قدما لا ابا لك ولا يلحق الاثم من غلب على ظنه
في حكم السياسة امر فاعتمده ثم بان له ان الاصوب كان خلافه وقد قيل ان قوله لقد عثرت عثرة لا انجبر سوف اكيس بعدها
واستمر واجمع الرأي الشتيت المنتشر اشارة الى هذا المعنى وقيل فيه غير ذلك مما قد سنذكره قبل وقال شيخنا ابو عثمان
الجاحظ من عرفه عرف انه غير ملوم في الانقياد معهم الى التحكيم فانه مل من القتل وتجريد السيف ليلا ونهارا حتى ملت
الدماء من اراقته لها وملت الخيل من تقحمه الاهوال بها وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة والارزاء العظيمة و
استلاب الانفس وتطاير الايدي والارجل بين يديه واكلت الحرب اصحابه واعداءه وعطلت السواعد وخدرت
الايدي التي سلمت من وقايع السيوف بها ولو ان اهل الشام لم يستعفوا من الحرب ويستقيلوا من المقارعة والمصادمة
لادت الحال الى قعود الفيلقين معا ولزومهم الارض والقائهم السلاح فان الحال اقتضت بعظمها وهولها الوسل
بعجز اللسان عن وصفه واعلم انه عم لما قال هذا القول استدرك بكلام آخر حذرا ان يثبت على نفسه الخطأ في الرأي فقال
لقد كان هذا رأيا لو كان لي من يطيعني فيه ويعمل بموجبه واستعين به على فعله ولكن بمن كنت اعمل ذلك والى من اخلد في
فعله اما الحاضرون لنصري فانتم وحالكم معلومة في الخلاف والشقاق والعصيان واما الغايبون من شيعتي كاهل البلاد
النائية فالى ان يصلوا قد بلغ العدو غرضه مني ولم يبق من اخلد اليه في اصلاح الامر وابرام هذا الرأي الذي كان صوابا
لو اعتمد الا ان استعين ببعضكم الى بعض فاكون كناقش الشوكة بالشوكة وهذا مثل مشهور لا تنقش الشوكة بالشوكة فان
ضلعها لها والضلع الميل يقول لا تستخرج الشوكة الناشبة في رجلك بشوكة مثلها فان احدهما في القوة والضعف
كالاخرى فكما ان الاولى انكسرت لما وطيتها فدخلت في لحمك فالثانية اذا حاولت استخراج الاولى بها تنكسر وتلج في لحمك
ثم قال اللهم ان هذا الداء الدوي قد ملت اطباؤه والدوي الشديد كما يقول ليل اليل وكلت النزعة جمع نازع
وهو الذي يستقي الماء والاشطان جمع شطن وهو الحبل والركي الابار جمع ركية وتجمع ايضا على ركايا ثم قال اين القوم
هذا كلام متأسف على اولئك متحسر على فقدهم والوله شدة الحب حتى يذهب العقل وله الرجل واللقاح بكسر اللام الابل
والواحدة لقوح وهي الحلوب مثل قلاص وقلوص قوله واخذوا باطراف الارض اي اخذوا على الناس باطراف الارض اي
حصروهم يقال لمن استولى على غيره وضيق عليه قد اخذ باطراف الارض قال الفرزدق اخذنا باطراف السماء عليكم لنا قمراها
والنجوم الطوالع وزحفا زحفا منصوب على المصدر المحذوف الفعل اي يزحفون زحفا والكلمة الثانية تاكيد للاولى وكذلك
قوله وصفا صفا ثم ذكر ان بعض هؤلاء المتأسف عليهم هلك وبعض نجا وهذا نحو قوله تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من
ينتظر ثم ذكر ان هؤلاء قوم قد وقذتهم العبادة وانقطعوا عن الناس وتجردوا على العلايق الدنيوية فاذا ولد لاحدهم
مولود لم يبشر به واذا مات له ميت لم يعز عنه ومرهت عين فلان بكسر الراء اذا فسدت لترك الكحل لكن امره
عليه لكم حصل مره عيون هؤلاء من البكاء من خوف خالقهم سبحانه وذكر ان بطونهم خماص من الصوم وشفاههم ذابلة من
الدعاء ووجوههم مصفرة من السهر لانهم يقومون الليل على وجوههم غبرة الخشوع ثم قال اولئك اخواني الذاهبون فان
قلت من هؤلاء الذين يشير عم اليهم قلت هم قوم كانوا في نأنأة الاسلام وفي زمان ضعفه وخموله ارباب زهد وعبادة
وجهاد وشهيد في سبيل الله كمصعب بن عمير من بني عبد الدار وكسعد بن معاذ من الاوس وكجعفر بن ابي طالب عم وعبد
الله بن رواحة وغيرهم ممن استشهد من الصالحين ارباب الدين والعبادة والشجاعة في يوم احد وفي غيره من الايام في حيوة
رسول الله ص وكعمار وابي ذر والمقداد وسلمان وخباب وجماعة من اصحاب الصفة وفقراء المسلمين ارباب العبادة الذين
قد جمعوا بين الزهد والشجاعة وقد جاء في الاخبار الصحيحة ان رسول الله ص قال ان الجنة لتشتاق الى اربعة علي وعمار وابي ذر

والمقداد وجاء في الاخبار الصحيحة ايضا ان جماعة من اصحاب الصفة مر بهم ابو سفيان بن حرب بعد اسلامه فعضوا ايديهم
عليه وقالوا وا اسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدو الله وكان معه ابو بكر فقال لهم اتقولون هذا لسيد
البطحاء فرفع قوله الى رسول الله ص فانكره وقال لابي بكر انظر لا تكون اغضبتهم فتكون قد اغضبت ربك فجاء ابو بكر اليهم
وترضاهم وسألهم ان يستغفروا له فقالوا غفر الله لك قوله تحوق لساني الحق لم ان يفعل كذا وهو حقيق به ومحقوق
به اي خليق له والجمع احقاء ومحقوقون ويتسنى ويتسهل وصدف عن الامر يصدف اي انصرف عنه ونزغات الشيطان
ما ينزغ به بالفتح اي يفسد ويغري ونفثاته ما ينفث به وينفث بالضم والكسر اي يخيل ويسحر واعقلوها على انفسكم
اي اربطوها والزموها الاصل ومن كلام له عم قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة فقال
عليه السلام اكلكم شهد معنا صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد
صفين فرقة ومن لم يشهدها فرقة حتى اكلم كلا بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي
واقبلوا بافئدتكم الي فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم عم بكلام طويل من جملته ان قال عم الم تقولوا عند
رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه
فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة وآخره ندامة
فاقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب اضل وان ترك
ذل ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وان القتل ليدور بين الاباء والابناء والاخوان والقرابات فما
نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق وتسليما للامر وصبرا على مضض الجراح ولكنا انما اصبحنا
نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فاذا طمعنا في خصلة يلم الله بها
شعثنا ونتدانى بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها الشرح هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضا
ولكنه ثلثة فصول لا يلتصق احدها بالآخر وهذه عادة الرضي رحمه الله ينتخب من جملة الخطبة الطويلة كلمات فصيحة
يوردها على سبيل التتالي وليست متتالية حين تكلم بها صاحبها وسنقطع كل فصل منها عن صاحبه اذا مررنا على
منتهاه قوله الى معسكرهم الكاف مفتوحة ولا يجوز كسرها وهو موضع العسكر ومحطه وشهد صفين حضرها قال تعالى
فمن شهد منكم الشهر قوله فامتازوا اي انفردوا قال تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون قوله حتى اكلم كلا بكلامه اي الكلام
الذي يليق به والغيلة الخداع والناعق المصوت قوله ان اجيب ضل وان ترك ذل هو آخر الفصل الاول وقوله ضل
اي ازداد ضلالا لانه قد ضل قبل ان يجاب فاما قوله فلقد كنا مع رسول الله ص فهو من كلام آخر وهو قائم بنفسه الى قوله
وصبرا على مضض الجراح فهذا آخر الفصل الثاني فاما قوله ولكنا انما اصبحنا فهو كلام ثالث غير منوط بالاولين ولا ملتصق
بهما وهو في الظاهر مخالف ومناقض للفصل الاول لان الفصل الاول فيه انكار الاجابة الى التحكيم وهذا يتضمن تصويبها
وظاهر الحال انه بعد كلام طويل وقد قال الرضي في اول الفصل انه من جملة كلام طويل وانه لما ذكر التحكيم قال ما كان
يقوله دائما وهو اني انما حكمت على ان نعمل في هذه الواقعة بحكم الكتاب واني كنت احارب قوما ادخلوا في الاسلام زيغا
واحدثوا فيه اعوجاجا فلما دعوني الى تحكيم الكتاب امسكت عن قتلهم وابقيت عليهم لاني طمعت في امر يلم الله به شعث المسلمين
ويتقاربون بطريقه الى البقية وهي الابقاء والكف فان قلت انه قد قال نقاتل اخواننا من المسلمين وانتم لا تطلقون
على اهل الشام المحاربين له لفظة المسلمين قلت انا وان كنا نذهب الى ان صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا مسلما
فانا نجيز ان يطلق عليه هذا اللفظ اذا قصد به تمييزه عن اهل الذمة وعابدي الاصنام فيطلق مع قرينة حال او لفظ
يخرجه عن ان يكون مقصودا به التعظيم والثناء والمدح فان لفظة مسلم ومؤمن تستعمل في اكثر الاحوال كذلك وامير
المؤمنين عم لم يقصد بذلك الا تمييزهم من كفار العرب وغيرهم من اهل الشرك ولم يقصد مدحهم بذلك فلا ينكر مع
هذا القصد اطلاق لفظ المسلمين عليهم الاصل ومن كلام له عم قاله لاصحابه في ساعة الحرب واي امرئ احس من نفسه
رباطة جاش عند اللقاء ورأى من احد من اخوانه فشلا فليذبب عن اخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب

Copyright … University